من التحليل اللغوي إلى فعل الترجمة في خطاب القرآن الكريم.

آية الأنفال أنموذجا.

ساسي عمار

Résumé

Aujourd'hui de nouvelles traductions comme celle de Jacques Berque publiée en 1990 essaient de concilier fidélité au texte, beauté du style, et prise en compte des apports de la tradition musulmane. En outre, le nombre grandissant de musulmans participant au concert des traductions peut davantage aider le lecteur à se rapprocher du sens, non pas tel qu'il est perçu par le chercheur, mais tel qu'il est vécu par l'ensemble de la communauté des croyants en tant que texte sacré et parole de Dieu.

الملخص :

إذا سلمنا بعبارة لا ترجمة بدون تحليل وانطلقنا في تفعيلها على خطاب القرآن الكريم لابد وأن تقودنا الخطوات التطبيقية إلى وضع اليد على دقائق بيانية ما كان لها لتظهر إلا بفعل التحليل الذي يبنى عليه الفعل الترجمي السليم لخطاب القرآن الكريم.

وفي هذا السياق ستسلك الورقة المحطات المنهجية التالية : مقدمة وثلاثة عناصر هي:

- تحليل الخطاب وعلاقته بالفعل الترجمي ، قراءة ورؤية.
- التحليل النحوي البلاغي في خطاب القرآن الكريم ، منهج وبيان.

-
- إجراء تطبيقي على نموذج من خطاب القرآن الكريم ، ثم الخاتمة والرأي.

مقدمة :

قد يكون من المسلمات المعقولة في منهج البحث العلمي القول : كما لا تحليل إلا بمنهج بحث ، فكذلك لا ترجمة إلا بتحليل . وهنا يجدر الوقوف على ماهية الفعل التحليلي للخطاب ' وقياسه على مترادفات التفسير و المعنى و الشرح و البيان والتأويل . وفي خضم لحظة التأمل و الجواب تبادر التساؤلات التالية:

- هل نبني الفعل الترجمي على المعنى ، أم على التفسير ، أم على التأويل ؟
- وما هي الفروق الحاصلة حين اعتماد المعنى في الفعل الترجمي على حساب أفعال

أخرى كالتحليل و التفسير و التأويل ؟

- و أي الترجمات التي تحضى بالقبول و الإيجاب ؟
- و أي الترجمات تكون راجحة ، و أي الأخرى منها تكون مرجوحة عند أهل النظر ؟
- و هل يمكن اعتماد التأويل في بناء الفعل الترجمي بحكم قرابته للتحليل ، مادام الخطاب واحدا ؟
- ما هي خصوصيات التعامل مع كل من المنجز البشري و المنجز الإلهي المقدس كالقرآن الكريم ؟
- إذا كان المنجز البشري في الفعل الترجمي يرفض التأويل بغية الحفاظ على حدود النص و الإبقاء على أمانته ، فهل يقبل القرآن الكريم التأويل ويلزم به لغاية ترجمته ؟

فهذه وغيرها كلها تساؤلات مهمة تلزم النقاش وتحتم التأمل بغية إدراك الأساس الصحيح الذي يبنى عليه الفعل الترجمي الأمين .

الترجمة و الفتنة:

-هل الفعل الترجمي حقيقة هو مفتون ؟ وهل هو مفتون بالمعنى ، أم بالتفسير ، أم بالتحليل ، أم بالتأويل ؟؟

-هل إذا اعتمد التحليل ضيع المعنى و التفسير ؟

-هل الفعل الترجمي متنازع فيه ؟ وأعني تتنازعه أفعال المعنى والتحليل و التفسير و التأويل ؟؟ من حيث كل يريد الظفر به بمفرده دون غيره ؟

وهو في هذه الحال أشبه بباب التنازع في النحو العربي ، حين يتنازع فعلان اسما واحدا.

وفي هذه الحال أراني أتمثل الترجمة امرأة جميلة مفتونة بأربعة عناصر فتنة ، كل يجتهد لاستمالتها بغية الظفر بها ، لكنهم على غير تساو ، فالأول ناقص والثاني غير كافي ، والثالث غير كامل و الرابع مغال فيه . حيث الأول يمثله المعنى ، والثاني التفسير والثالث التحليل ، والرابع التأويل.

وفي اللحظة المتأملة الواحدة أرى هذه العناصر الفاتنة كالأجزاء التي لا غنى لبعضها عن بعض ، بل هي كلبنات البناء المتكامل . فالتأويل يبنى على التحليل ، والتحليل يؤسس على التفسير ، والتفسير يقوم على المعنى . فالمعنى أولا و التفسير ثانيا و التحليل ثالثا ، والتأويل رابعا . لذلك بنوا الفعل الترجمي في أول عهد على المعنى . و هو المقصود باللفظ ، يقول الشريف الجرجاني : فمن حيث أنها تقصد باللفظ سميت معنى (1) ، معتبرين المعنى هو الأساس الثابت المعتمد في الفعل الترجمي . كما اعتبروا سلامته وصحته منه وحده . وثبت الأمر على هذه القاعدة (المعنى) ردحا من الزمن ، وربما لا يزال قائما حيا إلى يومنا .

ولذلك حين قسموا الترجمة بنوها في الأول على قسمين ، فقالوا : الترجمة بالحرف والترجمة بالمعنى . ووجدوا في المعنى شبه صواب وقرب سداد ، لكنه غير كاف وحده أمام حركة الزمن وتطور المعارف وتطلع الأنظار إلى ما هو أحسن و أرجح . ورأوا كأن الاعتماد على المعنى وحده لا يوفي بالفعل الترجمي رغم أساسيته ، لأن صاحب النص حين كتب لم يكتب على سطحية المعنى فقط ، بل كتب و في جعبته أفكار بعيدة كان يرمي إليها ، نقرأها من وراء سطور النص . فهو لم يكتب بعقل محجر على المعنى وفقط ، بل كتب بلفظ يسير إلى معنى غزير ، وإلى دلالة عميقة ، بل إلى مقصد بعيد ، إلى متلق ذي عقل مفسر ونظر محلل وفكر متأ ول . وليس يظن في هذه الحال أن الروابط بين هذه الحلقات مفقودة أو معدومة ، بل موجودة ومتينة ، وهي - برأينا – تمثل نقلات تطورية ، الغاية منها تجويد الفعل الترجمي وتنقيته وترقيته .

فكما نرى الحفاظ على المعنى هو معلمة للمحافظة على أصالة النص ووقايته من الانحراف ، فكذلك يجدر بنا أن نرى التفسير معلمة على أصالة النص الأصلي ووقايته من التحريف، كما يجدر بنا كذلك أن نرى التحليل معلمة للحفاظ على أصلية النص ووقايته من التحريف . وقد يحمل هذا البعد دلالات كثيرة.

إذ بالأمس انتصرنا للمعنى ، وبعده آثرنا التفسير ، و اليوم نعول على التحليل ، وربما غدا يأتي أمر التأويل في ثوبه الجديد . وربما هو معمول به إلى حد الساعة عند الآخر.

ورؤيتنا بعد هذا كله أن هذه النقلات تمثل مراحل تطور الفعل الترجمي ، وتجتهد كلها للاقتراب من نبل أمانة النقل والابتعاد عن تحريف الأصل.

وقفة على معاني المصطلحات ودلالتها:

المعنى : وهو ما يقصد باللفظ (2) .

التفسير : هو كشف المعاني الخفية من التراكيب . و قريب منه السفر، لأنه يكشف عن خفايا السلوك والأخلاق ، ومنه امرأة سافرة ، أي كاشفة لمفاتنها الخفية عن العين. وفي معناه قوله تعالى) : فكشفت عن ساقيها (3)

التحليل : وهو فك مكونات الخطاب التي كان مركبا منها . وهو الوقوف على السمات المميزة في الخطاب سواء كانت لغوية ، أم صوتية ، أم صرفية ، أم أدبية أم نقدية.

ويرى الراغب الأصفهاني أن أصل الحل الفك للعقد المربوطة ، ومنه انتقل إلى المعنوي(4) ، ومنه قوله تعالى :(واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)(5) . و الحل النزول بمكان ، ومنه قوله تعالى : (وأحلوا قومهم دار البوار)(6) .

و الرأي أن التحليل هو فك الخطاب إلى عناصره المكونة له من علمية ولغوية ونقدية ، - وهو يقابل مصطلح التركيب ، بغية تجلية أبعاد المعاني والدلالات المختفية وراء الخطاب التي لا يمكن كشفها إلا بفعل التحليل ، لأن المعاني مستويان معاني الألفاظ ومعاني النظم ، فاللفظة تظل قاعدة على معنى فإذا دخلت التأليف صارت على معنى آخر زائد، إذ يمكن وصفه بمعنى العلاقات)الربط (أو التأليف . وهنا لا يحصل تداخل بين مستوى معنى اللفظ مفردة ومستوى اللفظ في النظم أو التأليف . فالمعنى في الأول محدود ومغلق ، بينما في الثاني مفتوح باستمرار ، الأمر الذي يجعل الخطاب الواحد خطابات ، و التحليل تحليلات والترجمة ترجمات ، وهو ما يعطي للخطاب نصا كان أو تحليلا أو تأويلا أو

ترجمة حياة . والأمر هذا سيلفت إلى بيان دور التحليل في بلورة الفعل الترجمي.

فبالأمس القريب كان شعار الترجمة كما نفهم نترجم في حدود المعنى ، واليوم يمكننا رفع شعار : كما نحلل نترجم ، وغدا قد يكون دور التأويل.

لكن مع هذا ، هل بالتحليل نصيب أمانة النقل ؟ ألا يحصل الخرق لأمانة الترجمة ؟

- و هل نحلل على زمن النص أم على حال العصر ؟
- و إذا كان التحليل خطابا متجددا، فهل تصبح الترجمة كذلك؟
- وهل الفعل الترجمي هو فعل ثابت أم متحرك ؟
- وهل ما نقرأه عن المنجز البشري يمكن قراءته على خطاب القرآن الكريم ؟
- فيم تكمن الخصوصيات و المميزات ؟

التأويل : وهو الاشتغال على النصوص بتبيان بنيتها الداخلية والوصفية ووظيفتها المعيارية ، والبحث عن حقائق مضمرة في النصوص ، وربما المطموسة لاعتبارات تاريخية و إيديولوجية . والتأويل هو البحث عما هو أول في الشيء، كما هو الأس و الأصل ، فهو يحفر في طبقات النصوص المترسبة والمتراصة في ذاكرة التراث الإنساني قصد الكشف عن حقائق دفينة وغائرة ، وفتح أقفال الكنوز المطمورة . وفي التراث اللغوي التأويل هو المرجع والمصير ، وهو مأخوذ من آل يؤول إلى كذا ، أي صار إليه). ابن منظور (7) .

وأمام هذا التنازع في العملية الترجمية قد يكون في ذلك الاختلاف بين الأنظار مما لا شك فيه خصوصا بين المنجزين البشري و الإلهي . وربما قد يكون الأمر محتدما في المنجز البشري

أكثر ، وربما سيمتد الأمر إلى قراءة جديدة لمفهوم أمانة الفعل الترجمي . كما قد يكون الاجتهاد في التحليل عنصرا أساسا في أمانة الفعل الترجمي.

بينما الخطاب القرآني فهو حامل خصائصه المميزة معه ، فهو خطاب متجدد القراءة في مساحة المتشابهات ، وثابتها في دائرة المحكمات . وإن جد فمن جهة الأسرار واللطائف و المقاصد ، حيث تكتشف هذه حسب جهد المجتهدين ، وهي ليست محدودة بزمن ، كما أنها مفتوحة باستمرار يؤتيها الله من يشاء من عباده وهو العليم الحكيم .(و من يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب) (8).

وفي هذا السياق أود أن أشير أن كل الخطابات هي قابلة للتحليل ، وليس هناك خطاب خاص بالتحليل وآخر بمستوى المعنى فقط ، وهكذا . ففي خطاب القرآن يسير خط الاجتهاد من المعنى إلى التفسير إلى التحليل إلى التأويل . وفي كل هذه المستويات نسبة مرشحة للارتفاع باستمرار حسب جهود القوم وعقل القرن.

كما أنه لابد من الإقرار بأن كل من التفسير و التحليل والتأويل لم يكتمل فعله عبر العصور ، وهو مفتوح للتوسع والتجدد باستمرار حسب عقل العصر وجديد تطور الحياة . فلذلك تعددت التفاسير وتنوعت وتمذهبت ، لنجد اليوم بين أيدينا مئات التفاسير ، منها ما رأى النور، ومنها ما لا يزال قابعا في ركن المخطوط و حبيس أصل الخطوط .

و إذا كان التفسير تفاسير، فذلك يفيد أن للآية الواحدة ترجمات بعدد التفاسير . فإذا ما انتقلنا إلى مستوى التحليل فقد يكون الأمر أكبر و أعظم ، وليس هذا عندي بأمر غريب ، إذ القرآن حمال أوجه ، و أن خاصية الإعجاز فيه تلزم ذلك . كما أن

الإعجاز في هذا السياق يفيد عجز الإنسان في كل زمان على الإتيان بمثله ، كما يفيد عدم انقضاء أسراره ولطائفه ، و أنها تؤتى الإنسان حسب اجتهاده . فكم هي المعارف والعلوم و اللطائف والأسرار التي عرفها المحدثون لم يدركها الأولون ؟ والفضل لا شك يرجع إلى هذا التطور التكنولوجي وهذا الانفجار المعرفي الحديث . ولهذا فلكل عصر عقل ، ولكل عقل جهد ، ولكل جهد ثمرة جديد.

وعليه، فكما نحن أمام تحاليل ، فكذلك نحن أمام مناهج وترجمات . والترجمة في هذا السياق تبنى على الخطاب (الواحد) ، فالمنهج ، فالتحليل . وخطاب القرآن الكريم على خصوصيته هو ليس في منأى عن هذا الرأي.

هل تعتمد الترجمة على المعنى دون غيره من الأدوات ؟

أحسب أن كل عنصر من هذه العناصر الأربعة له حضه في تشكل بناء الفعل الترجمي ، من حيث لا مناص من التخلي عن واحد منها أو الاستغناء عنه بحجة ذهاب زمانه.

فالمعنى عنصر ثابت لا يتحلحل من مكانه مهما كان تطور الفعل الترجمي ، وهو بمنزلة القاعدة التي تتأسس عليها عملية الترجمة ، وهي الراسمة لوجهة النص الأصل و الكاشفة لمراد صاحبه . والألفاظ أوعية للمعاني وخادمة لها كما يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني(9). وبدون المعنى لا يرتقي الفعل الترجمي إلى مستوى التفسير ، وإذا ذهب المعنى لا يبقى للتفسير ولا لغيره شيء قسم التحليل .

نص الخطاب :

(وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) (10).

لما كان المعنى هو أساس التحليل ، رأيت بسط معنى الخطاب المجمع عليه من جمهور المفسرين ، لذا فقد وقع الترجيح على المفسر الكبير الإمام الطبراني ، حيث يقول:

في بيان معنى الآية : إما تعلمن يا محمد من قوم معاهدين لك نكث عهد ونقضه يظهر لك من آثار الغدر والخيانة كما ظهر لك من بني قريضة وبني النضير ، فأنبذ إليهم ، أي فاطرح إليهم عهدهم على سواء ، أي أخبرهم وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك فسخت العهد بينك وبينهم حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب ، فيأخذوا للحرب أهبتها وتبرأ من الغدر . (إن الله لا يحب الخائنين) ، لا يرضى عمل الذين يخونون بالبدأة بالقتال من غير إعلام بنقض العهد (11) .

وقد تعددت ترجمات معنى هذا الخطاب إلى حد أن أصبح لكل مترجم نصه المترجم المميز . ربما حصل ذلك نتيجة قدرة استيعاب معنى الخطاب ، وربما نتيجة المخزون العلمي والمعرفي لدى المترجم ،فعلى حسابه تكون جودة الترجمة أو رداءتها . وفي هذا الصدد فقد اخترنا ثلاث ترجمات تبدوا قريبة من بعضها إلا في بعض وحدات الخطاب المترجم ، ومنها الأتي:

جاء في ترجمة الآية إلى الفرنسية في المصحف الشريف للدكتور صلاح الدين كشريد:

1- (ou bien que tu craignes d'un peuple quelque trahison , rejette leur alors leur pacte d'une façon franche et loyale , car Dieu n'aime pas les traitres .) (12)

—1وجاء في الترجمة الإلكترونية النص التالي:

2-(Et si jamais tu crains vraiment un trahison de la part d'un peuple ,dénonce alors le pacte (que tu as conclu avec) d'une façon franche et loyale , car allah n'aime pas les traitres .) (13)

ولك أن تلحظ أن الترجمة المؤسسة على المعنى محدودة ومغلقة عند المترجم في المعنى وفي اللفظ ، فهو لا يكاد يزيد على المعنى معاني أخرى مهما حرص لأنه مشدود بأمانة

النقل ، وفي الوقت نفسه مقيد بحدود المعنى ، ومسجون في مخزونه المعرفي . بينما التحليل الذي سنراه في العنصر الموالي من هذه البحث فهو غير ذلك تماما .

التحليل : ولتحقيقه يتطلب الأمر الرجوع إلى استنطاق السياق و أسباب النزول ، واستبيان طبيعة وحدات التركيب ولون النظم.

فالآية - الخطاب- جاءت في سياق تقرير التربية الأمنية الموجهة للنبي صلى الله عليه وسلم ، كيف يتعامل مع قوم وصفوا بالخيانة والغدر في كل معاملاتهم في الحاضر والمستقبل ؟ وهي- برأينا -قاعدة كبرى من قواعد التعامل مع الغير الذي لايرضاك سيدا ولا قائدا ولا حرا بالمفهوم الواسع لهذه التحديدات . هي قاعدة كما صلحت بالأمس تصلح اليوم وغدا ، خصوصا إذا علمنا أن الذي يهيمن على العالم اليوم موصوف بالخيانة والغدر و إن طلعت بصور وأشكال أخرى.

أن عليه أن يحذر من عهودهم كل الحذر ، وهو توجيه مستوحى من واقع وحقيقة ،هي أن بني قريضة قد عاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا يضروا به ، ولا يعينوا عليه عدوا ، فنقضوا العهد و أعانوا أهل مكة بالسلاح على قتال النبي ، ثم قالوا : نسينا وأخطأنا . ثم عاهدهم مرة ثانية فركب كعب بن الأشرف إلى أهل مكة و واثقهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و الآية جاءت لترسخ قاعدة ثابتة على مر الزمان ، هي أن اليهود لا عهود لهم ، ولا مواثيق مع المسلمين خاصة ، وأن الخيانة هي جبلتهم دائما ، وأن نقض العهود هي خلقهم الأساس في كل مرة ، قال تعالى : (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون (14) . وسياق الآية في معرض حالتين :

1 – في حالة الحرب :فإما تلقاهم في الحرب ،فشرد بهم ، أي فافعل بهم فعلا من القتل والعقوبة والتنكيل تعرف بهم من ورائهم من أعدائك . و التشريد هو التبديد و التفريق ، جاء في لسان

العرب : شرد ، أي فرق وبدد جمعهم ... وسمع بهم من خلفهم وفزع بهم من خلفهم لعلهم يذكرون فلا ينقضون العهد) (15) .و قوله : (فشرد بهم)(16)، أي أسمع بهم بلغة قريش ، لأنهم إن مسكوا بك فسيفعلون مثل ذلك.

2-وفي حالة معاهدتهم وخفت خيانة عهدهم معك غدرا بالمسلمين، فانبذ العهد إليهم على سواء منك ومنهم في العلم ، ولا تبدأهم بالقتال من قبل أن تعلمهم إعلاما بينا بأنك نقضت العهد .

والخيانة ليست هي الغدر وإن كان بينهما من القرابة والتشابه . فالخيانة كما يقول الراغب الأصفهاني : الخيانة والنفاق واحد إلا أن الخيانة تقال اعتبارا بالعهد و الأمانة ، و النفاق يقال اعتبارا بالدين ، ثم يتداخلان ، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر . ونقيض الخيانة الأمانة ، يقال : خنت فلانا وخنت أمانة فلانا ، وعلى ذلك قوله تعالى :(لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) (17) (18). أما الغدر فهو الإخلال بالشيء وتركه . والغدر يقال لترك العهد ، ومنه فلان غادر وجمعه غدرة) بالفتح (، وغدار كثير الغدر (19)

ومن هذا تبين الفروق اللغوية الدقيقة بين المفردتين ، و أنهما غير مترادفتين ، ذلك أن القرآن الكريم كله يرفض ظاهرة الترادف بين مفردات ألفاظه . وهذا من دقة الإحكام في مفردات و ألفاظ القرآن ،ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا.

وقوله : (من قوم) ، يفيد التحليل أن الخيانة وإن كان أربابها في الفعل اليهود وهم المعنون بها أولا ، فإنها قد تحصل من قوم آخرين غير اليهود ، لذا وجب الحذر الشديد من هؤلاء وأولئك . والنكرة في النحو تفيد العموم . ولو قال من القوم لأفادت الخصوص.

وفي إشارة إلى المعنى والتحليل ، أنه لما أمره بما يفعل لمن حقق نقضه أرشده إلى ما يفعل بمن خاف غدره ، فقال : (وإما تخافن خيانة) - بتشديد نون تخافن – (من قوم) ، أي ذوي قوة بينك وبينهم عهد . وقوله : (خيانة) ، أي في

ذلك العهد . وهو يقتضي حصول عهد ، لأن من ليس بينك وبينه عهد فليست محاربته لك خيانة . فأمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه

وسلم إذا أحس من أهل عهد ما ذكرنا ، وخاف خيانتهم أن يلقي إليهم عهدهم ، و هو النبذ.

وقوله (فانبذ) هو محذوف تقديره إليهم عهدهم . وتقتضي قوة هذا اللفظ الحض على حربهم ومناجزتهم إن لم يستقيموا . قال الراغب الأصفهاني :

النبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به ، ولذلك يقال : نبذته نبذ النعل الخلق (20) .

وحين نقف على قوله :(على سواء) : يكون الأمر في بيانه و العلم به على سواء منك ومنهم ، فتكونون فيه ، أي في استشعار الحرب سواء.

و السواء: العدل . وقد يكون بمعنى الوسط . ومنه قوله تعالى: (في سواء الجحيم) (21) ومنه قول حسان بن ثابت :

يا ويح أصحاب النبي ورهطه --- بعد المغيب في سواء الملحد .

وفي قوله : (انبذ إليهم على سواء) أربعة أقوال تحليلية:

1 -فالق إليهم نقضك العهد لتكون و إياهم في العلم بالنقض سواء.

2 -فانبذ إليهم جهرا غير سر.

3 -فانبذ إليهم على مهل.

4 -فانبذ إليهم على عدل من غير حيف . وصيغة الآية بهذا التركيب ، هي من معجز ما جاء في القرآن مما لا يوجد في الكلام مثله على اختصاره وكثرة معانيه.

لقد أكد هذا الرأي كثير من المفسرين واللغويين منهم النحاس وعبد الرحمان بن خلدون وأحمد بن فارس الذي يقول : .. ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشة و الرومية ، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله عزوجل بالعربية ، لأن العجم لم

تتسع في المجاز اتساع العرب . ألا ترى أن تنقل قوله جل ثناؤه :(و إما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء) لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ المؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها وتظهر مستورها ، فتقول : إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضا فأعلمهم أنك نقضت ما شرطته لهم ، وآذنهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء (22)

لقد حرصنا كل الحرص على جمع أرجح أقوال المفسرين في بيان معاني خطاب القرآن الكريم هذا ، ورجحنا تفسير الإمام الطبراني لأن تحقيقه حديث ، وأنه جمع بين الإيجاز المركز والبيان الدقيق غير المطنب ، وانتقى أطايب المعاني من المفسرين السابقين مشفوعة باللون اللغوي المبين.

التحليل والترجمة.

الآية خطاب جاء في سياق ترسيخ مبادئ التربية الأمنية في شخص النبي صلى الله عليه وسلم ، كيف يتعامل مع قوم وصفوا بالخيانة ؟

ولما أمره بما يفعل بمن تحقق نقضه أرشده إلى ما يفعل بمن خاف غدره . وأكدته إشارة ظهور القرائن) و إما تخافن . (فالخوف ثابت والخيانة منهم حقيقة. وهي التي تقال اعتبارا بالعهد و الأمانة).وإما (هي حرف تفصيل ،وهو حرف بسيط عند الجمهور . قال سيبويه :هو مركب من حرف) إن (الشرطية وما النافية . وقد تجردت) إن (بالتركيب على الشرطية كما تجردت عن النفي ، فصار مجموع) إما (حرف تفصيل ولا عمل لها في الاسم بعدها ولا تمنع العامل الذي قبلها عن العمل في معموله الذي بعدها ، فهي في ذلك مثل (ال) أداة التعريف . ويمكن تقدير (أما) الثانية حرف عطف ، وهي أخت الأولى في سياق الخطاب ، وهي قوله (فإما تثقفنهم في الحرب) (23)

(من قوم) حيث هي صياغة عامة ، واللفظ لا واحد له من لفظه ، وهي الجماعة من الرجال و النساء جميعا . وهي في

الأصل مصدر لفعل (قام) ، ثم غلب على الرجال دون النساء . وسموا بذلك لأنهم قوامون على النساء . وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع ، لأن قوم كل نبي رجال ونساء (24) . والقوم هم من ذوي قوة بينك وبينهم عهد ،فخفت منهم خيانة ، والخوف هو توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة (25) .و الخيانة هي مخالفة الحق بنقض العهد في السر .

فاطرح طرح مستهين محتقر إليهم ذلك العهد نابذا إياه ، والنبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به ، لذلك يقال : نبذه نبذ النعل الخلق و منه قوله تعالى (لينبذن في الحطمة)(26) (27)وقال في هذا المعنى :(نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم)(28) .

واحذر من عهودهم كل الحذر . وهو توجيه مستوحى من واقع وحقيقة ، وهي أن قوم بني قريضة قد عاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم على ألا يضروا به ولا يعينوا عليه عدوا ، فنقضوا العهد وأعانوا أهل مكة بالسلاح على قتال النبي ، ثم قالوا : نسينا و أخطأنا . ثم عاهدهم النبي مرة ثانية فركب كعب بن الأشرف إلى أهل مكة و واثقهم على حرب رسول الله . ومثل ذلك فعل قوم بني النظير .

ومفعول) فانبذ محذوف تقديره إليهم عهدهم . وقد تقتضي قوة هذا اللفظ فانبذ الحض على حربهم و مناجزتهم إن لم يستقيموا.
(على سواء) لتكون و إياهم في العلم بالنقض سواء ، وتكونون في استشعار الحرب سواء.

و السواء العدل ، وقد يكون بمعنى الوسط ، ومنه قوله :(في سواء الجحيم)(29)

فيأخذوا للحرب أهبتها ، وتبرأ من الغدر .وهذا قمة التوجيه الرباني إلى النبي للتحلي بأخلاقيات الحرب مع العدو . ومن عدله تعالى في هذا الموقف أنه لا يرضى عمل الذين يخونون بالبدأة بالقتال من غير إعلام بنقض العهد . والآية شاملة وجامعة لكل قضايا الحياة التي يدخل فيها عهد وميثاق مع الغير . جاء في الحديث (من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده ولا يحله حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء) (30).

وأن ما يستنتج من أسلوب الخطاب:

- معاني القوة في تراتب وحداته في قوله : (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء).

كأنهم ظنوا أنهم بفعلتهم هذا (الخيانة) أنهم أقوياء غالبون كثيرون ، وأن الآخرين ضعفاء مغلوبون قليلون) و يقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا) (31) ، لأن الضعيف المغلوب في الأصل لا يفكر في خيانة الغالب القوي .

قوة العربية في اختصار المعاني الكثيرة في أوجز لفظ ، بحيث يتعذر ذلك على غيرها من اللغات الأعجمية ، وهذا من صميم إعجاز القرآن البياني و يطرح تأملا عميقا للبحث عن بديل قريب .

- ترجمة التحليل :

ANALYSE ET TRADUCTION

Sourate « EL ANEFAL »

Ce verset du Saint-Coran est un discours, adressé au Prophète Mohamed (p), sur les principes de l'éducation sécuritaire.

Autrement-dit, comment se comporter avec un peuple connu pour sa trahison, traîtrise ?

Le terme trahison / traîtrise est entendu ici, comme le contraire de la «AMANA», c'est à dire le non-respect d'un pacte.

Le Saint-Coran prévient donc, le prophète Mohamed (p) contre ces pratiques devenues hélas, courantes chez ce peuple. Ces instructions / orientations reposent sur des faits historiques avérées :

La tribu des « BENI-QORAIDHA » avait en effet, conclu des pactes de non-agression, dans lesquels il était stipulé que les combattants de cette tribu n'aideraient en aucune façon les ennemis du Prophète (p). Ces pactes n'ont jamais été respectés et des armes ont été offertes aux tribus opposées au Prophète (p), autour de La Mecque. Pour leur défense ils avaient répondu : « Nous avions oublié et nous reconnaissons nos fautes. »

Le verbe « INBEDH » en langue arabe, veut dire rejeter, dénoncer, annuler…un pacte. Ce verbe veut dire aussi rejeter un pacte, en position de force car la trahison vient de l'autre qui se retrouve en position fautive.

Le terme « ALA SAOUA » veut dire que l'ennemi soit informé du rejet du pacte qui les unissait. Les deux

parties doivent être informées de manière égale, de l'annulation de ce pacte.

Les deux parties se trouvent ainsi libérées du pacte et chacun se prépare à toute éventualité et notamment la guerre. Le prophète (p) est ainsi libre de tout engagement et innocent vis-à-vis des gens dont il doute la trahison.

Ce discours constitue le sommet de l'éducation divine au prophète qui doit respecter l'éthique et la déontologie de la guerre. Il ne doit pas répondre à la trahison par la trahison que l'Islam dénonce.

La religion islamique est juste, le musulman ne trahit même pas ceux qui l'ont trahi. Ce verset rassemble toutes les conditions où un pacte relie deux parties, dans tous les domaines de la vie.

La justice constitue la force de la religion islamique ; tous les termes utilisés dans ce verset du Coran témoignent du sens de la justice.

Si certaines parties pensent que la trahison fait partie de la guerre l'Islam refuse cette stratégie.

Ce discours constitue le sommet de l'éducation divine au prophète qui doit respecter l'éthique et la déontologie de la

guerre . il ne doit pas repoondre a la trahison par la trahison que l' islame dénonce .

La religion islamique est juste , le musulman ne trahit meme pas ceux qui l'ont trahit . ce verset rassemble toutes les conditions ou un pacte relie deux parties , dans tous les domaines de la vie .

La justice constitue la force de la religion islamique ; tous les termes utilisés dans ce verset du coran témoignent du sens de la justice .

Si certaines parties pensent que la trahison fait partie de la guerre l'islam refuse cette stratégie .(32)

--- الخاتمة ---

يظهر لنا أن كلا من ترجمة الخطاب وترجمة التحليل فعلان يفترقان كافتراق المغلق والمفتوح من الأشياء، فالخطاب يمثل المحور الثابت ،و التحليل يمثل المحور المتحرك .فالمترجم أمام الخطاب ملزم بشيء من الانضباط ، ومجبر الحوم حول المعنى الموجود في حدود لذات مقصد فعل الترجمة المحدد بالنقل الأمين للمعنى من لغة الأصل إلى لغة الهدف . وكلما كان الانضباط أشد وأمتن كان فعل الترجمة أقرب إلى الصواب . وغالبا ما تستوي في فعل النقل حجما ونوعا وكيفا جل اللغات ذات الخصائص المشتركة ،

كاللغات بنات اللاتينية وفروعها ، كأن يكون النقل من الفرنسية إلى الألمانية أو من الفرنسية إلى الإيطالية أو من الانجليزية إلى الألمانية أو من الفرنسية إلى الإسبانية ، وهكذا .

بينما لا يحصل التساوي و لا التقارب إذا كان من العربية إلى الفرنسية لطبيعة خصائص العربية المميزة ، والدليل خطاب الآية المتناول في هذه الدراسة .

أما التحليل ، فالمترجم أمامه ملزم بإخراج المعاني والمرامي و المقاصد و الأبعاد وفق مبلغه من العلم ، بمعنى أنه بصدد استنطاق المقصود وغير المقصود من المعاني ونقدها في اللحظة ، وهذا فعل مفتوح .

فالفعل التحليلي من هذا هو مفتوح باستمرار و بألوان قد لا تكاد تحصى ، إذ لكل محلل رأي ورؤية ومنهج . وفي ظل تعدد مناهج البحث و التحليل يبقى الفعل التحليلي متحركا ومتعددا ومتلونا ، خاضعا لقدرة الباحث التحليلية ومنهجه العلمي المتبنى ، يحصل ذلك تبعا للثابتة النقدية التي تقول : لا تحليل إلا بمنهج بحث علمي . فمن التحليل التاريخي إلى التحليل المقارن إلى التحليل الوصفي إلى التحليل الوظيفيالى التحليل التداولي ، وهكذا .

وعليه فالترجمة في هذا الحال ملزمة أن تلبس لباس الفعل التحليلي لتوصف حينئذ بصفات الحركة والتعدد والتلون بألوان منهج البحث التحليلي . لذا فلا مشابهة ولا مقاربة بين الترجمة ومعنى الخطاب والترجمة وتحليل الخطاب ، ولا أدل على ذلك الخطاب التطبيقي المترجم في هذه الدراسة .

هوامش البحث :

--1- التعريفات - الشريف الجرجاني - ص 122- دار الشؤون الثقافية – العراق ,

--2- المرجع نفسه - ص 122.

--3- النمل 44.

--4- معجم مفردات ألفاظ القرآن – الراغب الأصفهاني - ص127- دار الكاتب العربي .

-- 5- طه 27.

--6- إبراهيم 28.

--7-لسان العرب - ابن منظور -تأويل - ج 1 ص 131- دار لسان العرب بيروت .

- 8- البقرة 269.

--9- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني - ص 64-65- دار قتيبة .

-- 10- الأنفال 58.

--11- التفسير الكبير – الإمام الطبراني - ج3 – ص 270- تحقيق الهشام البدراني - دار الكتاب الثقافي .

--12- القرآن الكريم – ترجمة صلاح الدين كشريد – ص157- ط7 -دار الغرب الإسلامي 2003.

--13- www .cora-en- ligne.com

--14- الأنفال 56.

--15- لسان العرب -ابن منظور – ج2 – ص 293.

--16- الأنفال 57.

--17- الأنفال 57.

--18- معجم مفردات ألفاظ القرآن – ص162.

- 19- المرجع نفسه -ص 370.

--20- معجم مفردات ألفاظ القرآن – ص 502.

-- 21- الصافات 55.

--22- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها – أحمدبن فارس– ص44- مكتبة المعارف بيروت.

--23- الأنفال 57.

--24- لسان العرب – ابن منظور – ج3 – ص 195.

--25- معجم مفردات ألفاظ القرآن - ص 161.

--26- الهمزة 04.
--27- معجم مفردات ألفاظ القرآن – ص 502.
--28- البقرة 101.
--29- الصآفات 55.
--30- رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .
--31- الأنفال 44.
--32- ترجمة الدكتور سيد علي صحراوي -في حوار ومعاينة – قسم اللغة الفرنسية -جامعة البليدة 2بتاريخ 2-11-2014. الساعة 14-15

مصادر البحث ومراجعه :

--القرآن الكريم - مصحف المسجد النبوي - رواية حفص عن عاصم – دارالغد الجديد- المنصورة -ط1
-- القرآن الكريم -ترجمة صلاح الدين كشريد - دار الغرب الإسلامي - 2003.
-- معجم مفردات ألفاظ القرآن – الراغب الأصفهاني - دار الكاتب العربي .
-- لسان العرب – ابن منظور – دار لسان العرب – بيروت لبنان .
-- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني - دار قتيبة .
-- التفسير الكبير – الإمام الطبراني – تحقيق الهشام البدراني – دار الكتاب الثقافي - إربد .
-- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها -أحمد بن فارس - مكتبة المعارف بيروت .
-- التعريفات - الشريف الجرجاني - دار الشؤون الثقافية - العراق .
---www .cora-en-ligne.com